جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'Sila
مخبر الشعرية الجزائرية
Laboratoire la Poétique Algérienne

أعمال الملتقى الوطني السادس

جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية بين الموضوعية والذاتية

The efforts of the orientalists in literary and linguistic studies between objectivity and subjectivity

02 مـــــارس 2021 / 02 mars 2021

منشورات مخبر الشّعرية الجزائريّة

البدر الساطع للطباعة والنشر
EL-BADR ESSATIE IMPRESSION ET EDITION

تنسيق
د. إبراهيم زلافي

رقم الإيداع القانوني

978-9931-752-35-6

جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية بين الموضوعية والذاتية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

منشورات مخبر الشّعرية الجزائريّة

ISBN 978-9931-752-35-6

البدر الساطع للطباعة والنشر
EL-BADR ESSATIE IMPRESSION ET EDITION

البدر الساطع للطباعة والنشر
العلمة -19600-الجزائر
هاتف/فاكس : 036 76 40 08
النقال : 05 55 71 30 53 /07 70 31 16 56
البريد الإلكتروني : elbadr_essatie@yahoo.com

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'Sila
مخبر الشعرية الجزائرية
Laboratoire la Poétique Algérienne

أعـمـال الملتقى الوطني السـادس

جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية بين الموضوعية والذاتية

The efforts of the orientalists in literary and linguistic studies between objectivity and subjectivity

02 مـــــارس 2021 / 02 mars 2021

منشورات مخبر الشّعرية الجزائريّة

تنسيق
د . إبـراهيـم زلافي

رقم الإيداع القانوني

978-9931-752-35-6

عنوان الكتاب

أعمال الملتقى الوطني السادس:
جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية بين الموضوعية والذاتية

نُظم يوم الثلاثاء 02 مارس 2021 بتقنية التحاضر عن بعد
بمخبر الشعرية الجزائرية

جميع الحقوق محفوظة.
ما ينشر من مداخلات في هذا الكتاب الجماعي يعبر عن أفكار أصحابها،
مع تحملهم المسؤولية القانونية والأخلاقية عنها.

تنسيق وإشراف: رئيس الملتقى: د. إبراهيم زلافي

مراجعة: أ.د. فتحي بوخالفة مدير مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر.

منشورات مخبر الشعرية الجزائرية
جامعة محمد بوضياف، المسيلة 2021.

اللجنة العلمية للكتاب:

1–د. إبراهيم زلافي جامعة المسيلة

2–أ.د. فتحي بوخالفة جامعة المسيلة

3–د. صالح فايد جامعة المسيلة

4–د. خليفة عوشاش جامعة المسيلة

5– د. بحوص زكري جامعة المسيلة

6– عبد القادر العربي جامعة المسيلة

7– د. واسيني بن عبد الله جامعة المسيلة

الفهرس

العناوين	الصفحات
فهرس المشاركين	5–4
كلمة السيد مدير مخبر الشعرية الجزائرية	6–5
كلمة السيد رئيس الملتقى	6
مداخلات الملتقى	256–7
قيمة الشّعر الجاهليّ عند المستشرقين وأثر ذلك في النّقد العربيّ الحديث د. عبد الوهاب بن دحان جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم	16–7
المستشرقون ونشأة النحو العربي د. أحمد لعويجي جامعة محمد بوضياف–المسيلة	30–17
جهود المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون في دراسة التّصوف الإسلامي د. حمزة حمادة جامعة حمة لخضر –الوادي	47–31
طبيعة الاستشراق الإنكليزي والأمريكي والمنابع الفكرية لأعلامهما د. عبد القادر العربي جامعة محمد بوضياف –المسيلة	61–48
المرتكزات المنهجية في التعاطي مع السيرة النبويةمن منظور المستشرق (إيتيان دينيه) دراسة في فكره وأدبهد. د. مداني زيقم جامعة محمد الشريف مساعدية –سوق أهراس	70–62
نظرة المستشرقين إلى التراث اللغوي العربي وموقفهم منه د. عزالدين عماري جامعة محمد بوضياف –المسيلة	80–71

صورة النبي في الصحافة الغربية والمرجعية الاستشراقية–امتداد التأثير وصعوبة التغيير– د. مليكة صياد جامعة زيان عاشور –الجلفة	93–81
التفاعل بين الأدب العربي والأدب الروسي د. محمد سعدون جامعة محمد بوضياف –المسيلة	105–94
أصالة النّحو العربي بين مقولتي الشّك والتأثّر رؤية في القراءة الاستشراقية وامتداداتها العربية د. هبة خياري جامعة باجي مختار –عنابة	106–117
دوافع الاستشراق وأهدافه د. باية بن مساهل جامعة محمد بوضياف –المسيلة	118–126
من الجهود اللغوية الاستشراقية: أعمال المستشرق فيليب مارسي نموذجا د. جمال الدين بابا المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ–تلمسان	127–135
جهود المستشرقين في فهم فكر مُحي الدين بن عربي د. حكيمة بوشلالق جامعة محمد بوضياف –المسيلة	136–147
المستشرقون البريطانيون والأدب الأندلسي د. محمد بوعلاوي المركز الجامعي –أفلو	148–156
الموضوعات الكبرى للقرآن الكريم عند المستشرقين. د. واسيني بن عبد الله جامعة محمد بوضياف –المسيلة	157–165
الاستعلاء والمركزية الأوروبية – قراءة في الاستشراق– د. الويزةجبابلية جامعة العربي تبسي –تبسة	166–175
دور المستشرقين في نهضة الأدب العربي الحديث د. البشير بختي جامعة محمد بوضياف –المسيلة	176–185
مناهج المستشرقين في دراسة العربية الفصحى د. كريمة بوكرش جامعة زيان عاشور –الجلفة	186–197
الخطاب الاستشراقي (الفاعلية والتأثير) مدرسة الاستشراق الفرنسي نموذجا د. بحوص زكري جامعة محمد بوضياف –المسيلة	198–209
مساهمة المستشرقين في نشر التراث التاريخي للغرب الإسلامي بين الاجحاف والانصاف –دراسة توثيقية إحصائية– د.عبد الكريم بصديق جامعة الحاج لخضر باتنة	210–229
حركة الاستشراق في ميزان الفكر العربي الحديث والمعاصر د. إبراهيم زلافي جامعة محمد بوضياف –المسيلة	230–240
منهج كارل بروكلمان في تأريخ الأدب العربي د. خليفة عوشاش جامعة محمد بوضياف –المسيلة	241–249
Orientalism in the Eyes of Edward Said د. حورية ميهوبي جامعة محمد بوضياف –المسيلة	250–256

الخطاب الاستشراقي (الفاعلية والتأثير) مدرسة الاستشراق الفرنسي نموذجا

ملخص:

انطلق الاستشراق من أوروبا كاتجاه فكري وبحثي، حيث تمثل في مختلف الدراسات عن الشرق الإسلامي والتي شملت ثقافته حضاراته وأديانه وآدابه ولغاته و تعد المدرسة الاستشراقية الفرنسية –رائدة والأكثر تأثيرا – بالمقارنة مع غيرها من مدارس الاستشراق، نظرا للخلفيات التاريخية و الثقافية التي جمعت فرنسا بدول المشرق والتي مثلت جسرا بين الغرب والشرق. انطلاقا من هذه الحيثيات تحاول هاته الورقة البحثية عرض طبيعة المدرسة الاستشراقية الفرنسة وبيان مراحله وأهدافها ،ومحاولة تفكيك بعض خطاباتها وخصائصها وتحليل بعض ارآء أهم أعلامها ،وكذلك تجلية مامدى تجسيد المستشرقين الفرنسين لخطاب الحوار و مبدأ الانفتاح على الآخر.

Abstract

Orientalism originated from Europe as a current of intellectual and research, as it has been represented in various studies of the Islamic East, which included its culture, civilizations, religions, literature and languages. The French orientalist school - the pioneer and the most influential - is considered the pioneer and the most influential - compared to other schools of Orientalism, due to the historical and cultural origins that united France with the countries of the East, which represented a bridge between the West and the East. Based on these reasons, this research paper attempts to present the nature of the French Orientalist school, explain its stages and objectives, and attempt to deconstruct some of its discourses and characteristics and analyze some of the points of view of its most important personalities, as well as clarify to what extent the French orientalists embody the discourse of dialogue and the principle of openness to the other.

مقدمة

تشير الدراسات إلى أن بدايات اهتمام الغرب بالشرق تعود إلى القرن السادس عشر ميلادي، غير أن المؤرخين يعتبرون حملة نابليون على مصر البداية الفعلية للاستشراق. الذي يعرفه أحمد عبد الحميد غراب أنه" اتجاهٌ فكري يعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، وقد كان مقتصرا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية، ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله، بلغاته وتقاليده وآدابه، فالمستشرقون هم علماء الغرب الذين اعتنوا بدراسة الإسلام واللغة العربية، ولغات الشرق وأديانه وآدابه".[1]

وقد عنيت البحوث الاستشراقية بمختلف المظاهر الحضارية للشرق الإسلامي، علمية ولغوية وأدبية، وفلسفية، ودينية. وقد شكلت هذه البحوث في أوروبا مدارس متخصصة، ركزت كل مدرسة بحثها ودراستها حول جانب من

جوانب الفكر والتراث الإسلامي، وجميع مناحي الحياة الشرقية والإسلامية، حيث اهتم الاستشراق البريطاني بدراسة العقيدة والدين الإسلامي، وعنيت المدرسة الروسية بدراسة التراث، في حين اهتمت المدرسة الألمانية بدراسة الجوانب العلمية والعقدية في الحضارة الاسلامية، أما الاستشراق الايطالي فقد اهتم بدراسة الإسلام، واهتم الاستشراق الهولندي والفرنسي بالجوانب اللغوية والأدبية. وقد أولت الدول الأوربية عناية كبيرة في دراسة الشرق وأسست مؤسسات كبرى وأهتمت بباحثيها في هذا المجال، وذلك لدوافع عديدة.

وتعد المدرسة المدرسة الاستشراقية الفرنسية –رائدة والأكثر تأثيرا –بالمقارنة مع غيرها من مدارس الاستشراق، نظرا للخلفيات التاريخية والثقافية، وعوامل أخرى وروابط مختلفة جمعت فرنسا بالشرق والتي مثلت جسرا بين الغرب والشرق. وانطلاقا من هذه الحيثيات تحاول هاته الورقة البحثية تسليط الضوء على الاستشراق الفرنسي وأهم أعلامه وخصائص، معتمدين آليتي الشرح والتحليل لمعطيات هذا البحث.

1 / الاستشراق (الماهية والأصول)

أ- المفهوم اللغوي للاستشراق

صيغت لفظة استشراق "على وزن استفعال، وهي مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، وجاء في المعجم الوسيط "شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت" .[2]وفي لسان العرب: شرق: "شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق".[3]

وهناك تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور. كما أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنماتعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء[4]

ب- المفهوم الاصطلاحي للاستشراق

تمثل ثنائية الشرق والغرب محور الفكر الاستشراقي، وقد انطلق الباحثون في محاولة الكشف عن مفهوم الاستشراق وتحديده في اللغة والاصطلاح والبحث في الشروط التاريخية والمعرفية التي تجعل من الخطاب الاستشراقي علما و مجالا بحثيا واضح المعالم والأركان. حيث يعرف إدوارد سعيد الاستشراق بأنه:" نمط من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه".[5] ويتجه رضوان السيد إلى القول " أن الاستشراق يتناثر ويدخل في تخصصات متباينة كالتاريخ والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا والاقتصاد والسياسة، ولم يعد هناك عالم واحد اسمه الاستشراق، بل هناك عوالم متباينة يحمل كل منها عنوان المجال الذي يهتم به، فإذا كانت مفاهيم الشرق والعالم الثالث والشرق الاوسط متباينة وغير علمية، فإن مفهوم

الاستشراق صار اليوم كذلك.[6]

ويرى الطيب بن إبراهيم أن الاستشراق لا يعتبر تاريخاً أو جغرافيا فقط، ولا إنسانيا أو ثقافة فحسب، وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة. والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطاً عضوياً وتكاملياً مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري ويضيف الطيب بن إبراهيم، أن الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصص في ثقافته وتراثه، ليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي، وإنما هو الشرق الهوية وهو محور ما استهدفه علم الاستشراق ومصدر العناية والاهتمام، فهدف الاستشراق هو معرفة "الشرق الهوية والتاريخ "المتمثل في الإسلام والمسلمين.[7]

وتذهب البحوث والدراسات في تاريخ الاستشراق إلى أن الفرنسي جيرار دي أورلياك رائد الاستشراق وهو أول من استشرق. و"تطلق كلمة مستشرق بشيء من التجاوز على كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد".[8]

ومن الواضح أنه لا يوجد تعريف موحد و مستقر للاستشراق؛ نظرا لعدم وجود أسس ومعطيات مشتركة في تحديد مفهومه، إذ أنه لا يتحدد بزمن ومكان معينين، أو بنمط ثقافي خاص. فقد اجتاح الخطاب الاستشراقي التخصصات الانسانية والعلمية والأدبية و الثقافية حتى أصبح من الصعب حصر مجالات و مباحث الاستشراق وطرقه ومناهجه وأساليبه وعدم القدرة على تحديد أهدافه وأغراضه.

2/ كرونولوجيا الاستشراق الفرنسي (النشأة والتطور)

لاشك أن الحركة الاستشراقية ضاربة في التاريخ، وهذا نظرا لعدة عوامل من بينها الدينية، والاقتصادية والثقافية. غير أن الدافع الاستعماري سرع من حركة النشاط الاستشراقي بشقيه الأوروبي والفرنسي. ويؤرخ لبدايات الاستشراق الفرنسي مع مطلع القرن السادس عشر،كما يذهب إلى ذلك روبير منترانحيث يقول "يمثل الاستشراق الفرنسي لوحة كبيرة رسمت ملامحها في القرن السادس عشر"9.وتأتي المدرسة الفرنسية في طليعة المدارس الاستشراقية الأوروبية، نظرا لدورها الريادي وسبقها في الدراسات الشرقية، وكان ذلكبدأ بـ "إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795 م والتي رأسها المستشرق المشهور سلفستر دي ساسي sylvester de sasi وكان هذا المستشرق يعد عميد الاستشراق الأوروبي في النصف الأول من القرن التاسع عشر دون منافس".[10]

وقد شهدت الحركة الاستشراقية الفرنسية نشاطا وتورا ملحوظا وواضحا منذ ظهورها في القرن الثاني عشر " بظهور أول ترجمة للقرآن الكريم سنة 1143م، إضافة إلى ظهور عمل أكاديمي مهم جدا هو أول قاموس لاتيني عربي، وتزايد بذلك نشاط الترجمة من اللاتينية إلى العربية، بحيث أحصى (ليكليرك) ثلاثمئة عمل مترجم حتى

القرن13، بعد ذلك سوف يعرف الاستشراق الأوروبي عموما والفرنسي خاصّة تطورا بارزا، على يد (غوليوم بوستيل) الذي يعود له الفضل في إنشاء أول كرسي للغة العربيّة في باريس، في الكوليج دي فرنس، وساهم بنشر العديد من المنجزات والدّراسات، وتخرّج على يده تلاميذ مستشرقون متخصّصون أمثال (جوزيف سكاليجيهن)، من هنا بدأت البداية الحقيقية للاستشراق الفرنسي"[11] ثم عرف تطورا وانتظاما ملحوظا في القرنين 16و17 خاصّة بعد ظهور الطباعة، التي ساهمت بشكل ملحوظ في طباعة الكتب والقواميس، ليشكل بعد ذلك القرنان 19و20 العصر الذهبي للاستشراق الفرنسي، بانعقاد أوّل مؤتمر للاستشراق سنة 1873 بباريس، حيث تجاوز عدد المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس سبعة آلاف مخطوط صُنف تصنيفا جيدا وحُفظ بأحسن الوسائل الحديثة[12]. وكانت تلك المخطوطات العربيّة المتنوّعة فيما بعد مجالا واسعا للتحقيق والبحث والتنقيب. كما كانت هناك أنشطة علمية كثيرة في فرنسا:" فقد صدرت مجلّات اهتمت بالتراث العربي الإسلامي، والتّعريف به، واستطاع الأدب العربي أن يؤثر في الأدب الفرنسي، وانتشرت بعض الكتب الأدبيّة العربيّة في فرنسا، كما تأثّر بعض المفكرين الفرنسيّين بما اطلعوا عليه من تراث العرب وفلسفتهم، من أمثال ابن رشد وابن خلدون، والنزعات الصوفية، واستعملوا كثيرا من المصطلحات الدينية، التي كانت سائدة في التراث العربي الإسلامي"[13] وقد أورد المفكر ادوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" أن اهتمام فرنسا بالشرق بدأ مع حملة نابليون على مصر وتوسعت دائرة الاستشراق الفرنسي "بعد احتلال تونس ومراكش إذ صار حتميا التعرف على اللغة والتاريخ والديانة فترجمت ونشرت نصوص عربية كثيرة".[14]

وعليه يمكننا أن نلاحظ أنه على الرغم من اعتبار المدرسة الفرنسية إحدى أهم المدارس الاستشراقية والدور البارز الذي لعبته في الحركة العلمية في الشرق، إلا أن هذا لا ينفي عنها الأطماع الاستعمارية منذ القدم، وسعيها من أجل استغلال مناطق نفوذها ونهب خيراتها .

3/ أعلام الاستشراف الفرنسي:

من أشهر المستشرقين الفرنسيين، نذكر:

- المستشرق الفرنسي مارسلMarcel (1776 م- 1854 م):

"مستشرق فرنسي ولد 24 نوفمبر 1776، وتوفي بباريس في 11 مارس 1854".[15] كان مارسل ضمن الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون حيث عمل مترجما كما قام بتأليف كتاب حول مصر وصف مصر، وقد قال عنه أحمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي بأنه "كان ضمن الحملة الفرنسية على مصر 1798 م وتولى إدارة مطبعة الحملة وكان عضوا في معهد مصر الذي أنشأه نابليون إبان حملته على مصر فراح يجمع المخطوطات والنقوش، واشترك في

تحرير كتاب (وصف مصر) كما تولى إدارة المطبعة الوطنية في باريس من 1802 م إلى 1810 م فقام بأعمال جليلة وقد نشر معاجم صغيرة ومختارات في اللغات الشرقية".[16]

- سيلسفستردي silvester de sacy (1758 م- 1838 م):

"ولد أنطوان إسحاق سلفسترsacyantoineisaacsilvestrede عام 1758 م لعائلة جانسنية كان عملها تقليديا ودرس تحت إشراف خاص في دير اللبندكتتن، اللغة العربية، والسريانية والكلدانية أو لا ثم العبرية وكانت العربية شكل خاص هي التي فتحت له أبواب االشرق، إذ أن المادة الشرقية لم تكن توجد إلا بالعربية ومع أنه كان من أنصار الشرعية، فقد عين عام 1769 م أول معلم للعربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية التي كانت قد أنشئت قبل وقت قصير ثم أصبح مديرا للمدرسة عام 1824 م وقد انتخب عام 1806 م أستاذ الكوليج دي فرانس Collège de france رغم أنه منذ 1805 م كان يشغل منصب المستشرق المقيم في وزارة الخارجية الفرنسية وهو الذي ترجم البيانات التي نشرت عند احتلال الجزائر وكذلك عند إحلال مصر من قبل حملة نابليون عام 1797 م".[17]

- مرسيه وليم Murcia William (1874 م- 1956 م):

"مستشرق فرنسي اهتم خصوصا باللغة البربرية واللهجة العربية المغربية عين في 1889 م مديرا لمدرسة تلمسان، فمكنه هذا المنصب من الاتصال بالمعلمين العرب فيها، ثم عين ناظرا للمدرسة العليا في الجزائر ثم انتقل إلى باريس حيث عين أولا في مدرسة الدراسات العليا الملحقة بالسربيون، ثم عين في الكوليج دي فرانس 1927. وصار عضوا في أكاديمية النقوش والآداب الجميلة.

وله دراسات ومحاضرات جمعت بعد وفاته في مجلد بعنوان "Articles et confèrences" مع مقدمة لأخيه جورج، ومنه عن حياته ومؤلفاته كتبها A.Merlin كما قام في مطلع شبابه بترجمة ديوان أوس بن حجر التميمي إلى الفرنسية استنادا إلى النص العربي الذي كان جاير R.Geyer قد نشره ضمن محاضرات جلسات الأكاديمية الإمبراطورية للعلوم في فيينا".[18]

- لوي ماسنيونLouis Massingon (1883 م- 1962م):

"ولد في باريس وحصل على دبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب كما حصل على دبلوم اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية الحية (فصحي وعامية).

كما تحصل على الدكتوراه برسالة عن آلام الحلاج من السربونsorbonne 1922 م وتولى تحرير مجلة العالم الإسلامي 1919 م ثم مجلة الدراسات الإسلامية التي حلت محلها 1928 م وتقويم العالم الإسلامي، التابع لها".[19]

وبغض النظر عن الحركة التبشيرية و الاستعمارية للاستشراق بشكل عام، وبالعدد الهائل من المستشرقين الذين خدموا الاستشراق الفرنسي على وجه الخصوص، لا يمكن اغفال الكم الهائل للمكاسب التي عادت بالفائدة على المثقف العربي ، من الدراسات التي قدمها أهم أولئك المستشرقين الفرنسيين، بل المستشرقين الأوروبين.

4/ خلفيات الاستشراق الفرنسي(الدوافع والعوامل)

بدأت الدوافع الأولى للاستشراق كمحاولة لاستكشاف الآخر، بين حضارتين مختلفتين، فكل حضارة تبحث عن ذاتها من خلال الآخر، فنجد دوافع الاتصال بين الغرب والشرق قد اختلفت وتنوعت حسب المراحل التاريخية المختلفة لعلاقة الاتصال بينهما. وقد قدم الاستشراق خدمات جليلة للغرب في التمكين لأهدافه التي قام من أجلها، من أهداف دينية وسياسية واقتصادية واستعمارية وثقافية، تمثلت في إقبال المستشرقين على التراث الاسلامي جمعا ودراسة وتحقيقا وهذا قصد الاستفادة العلمية التي وصل إليها الشرق الاسلامي، ولم تكن هاته الاستفادة مادية فقط بل شملت جوانب دينية وعقيدية وفكرية .

اضافة إلى أن الحركة الاستشراقية قد سعت إلى هدم أواصر الترابط بين حضارة الانسان وعقيدته كي لا تتجدد وبالتالي تندثر وتحل محلها حضارة الغرب المادية ، وقد قدمت الدراسات غير العلمية التراث الاسلامي في شكل مشوه يعتمد على الحذف والتغيير وحتى الكذب والتزوير المتعمد أحيانا.[20] و من خلال هذا العرض التاريخي الموجز للاستشراق الفرنسي تبين لنا تعدد أهدافه ودوافعه، وقد حفزت حركة المستشرقين عموما والفرنسين خصوصا جملة من العوامل و الدوافع نوجزها فيمايلي:

- **الدوافع الدينية:**

يتفق الكثير من الباحثين في مجال الظاهرة الاستشراقية على أن " الدافع الأول للاستشراق عند الغربين وهو الدافع الديني فقد بدأ بالرهبان واستمر حتى عصرنا الحاضر"[21] وعليه فالدافع الديني هو أبرز أهداف نشأة الاستشراق خاصة أن البيئة الرئيسية التي احتضنته هي بيئة مسيحية، فقد بدأ بتشجيع من الكنيسة ورجال الدين الذين كانو وراء تحفيز حركة الاستشراق، لأن الإسلام بالنسبة للغرب ظاهرة جديرة بالدراسة، فهو قوة دينية لا يمكن رد جموحها والوقوف أمامها ولأن الدافع الديني تجسد من خلال نشأة أدب الاستشراق الذي كان مصدره رهبان الكنيسة عندما دخلت في مواجهة مع العلماء، حيث أفلست الكنيسة فيما تطرحه من أفكار فقامت بالهجوم على العلماء من جهة، ومن جهة ثانية وحولت القضية إلى الإسلام. وهذا من أجل «إدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث". [22]

– الدوافع الاستعمارية:

ارتبطت الدوافع الاستعمارية بالأطماع السياسية والاقتصادية والعسكرية للدول الأوربية في الشرق، لأن الحروب الدينية هي في حقيقتها حروب استعمارية فالغربيون لم ييأسوا" من العودة إلى احتلال بلاد العرب، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليعترفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق اضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية فنفقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة".[23]

لقد أخذ الاحتلال والغزو الغربي شكلا آخر واستراتيجية مختلفة حيث اصبح الاستعمار احتلالا عسكريا وفكريا في آن واحد؛ و اتجه إلى تأسيس مراكز وأكاديميات مختصة بشؤون العالم الإسلامي درست حال المسلمين عقديا وجغرافيا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا ووقفت على عناصر الضعف فيها، بل دخلوا في تنفيذ خطتهم إلى الغزو الفكري لعقول المسلمين وذلك باظهار تفوقهم وتخلف المسلمين عنهم، وبث روح الضعف والوهن في النفوس وذلك عن طريق التشكيك في العقيدة والقيم الانسانية بل في كل التراث الاسلامي.

وقد لعب المستشرقون دورا كبيرا في إفشاء الجهوية والعنصرية وإثارة الفتن القومية بين والمسلمين، وذلك "لاضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم وكذلك يفعلون في البلاد العربية، يجهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل ما في أذهانهم على تحريف الحقائق، وتصيد الحوادث الفردية في التاريخ ليصنعوا منها تاريخا جديدا يدعوا إلى مايريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية". [24]

لقد سهل الاستشراق "من المهام الأولى التي عهدت بها الدول الاستعمارية تدريب رجالاتها وموظفيها على معرفة آداب وديانة وحضارة هذه الدول الإسلامية التي يتجهون إليها لاحتلالها والسيطرة عليها، ومن ثم ازدهرت دراسات اللغة العربية على وجه الخصوص وغيرها من الدراسات التي تحقق الهدف المنشود من ورائها".[25] وبالتالي فقد خدم الاستشراق الأهداف الإستعمارية الغربية، وقدم المستشرقون للإستعمار معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستلاء على ثرواتها وخيراتها.

– الدوافع العلمية:

يذهب الباحثون في حركة الاستشراق إلى أن الدافع العلمي كان وراء نشأة الاستشراق وأن الرغبة في خدمة العلم كانت الحافز للدراسات الاستشراقية لأنه وإن كان هناك من غاية نبيلة أو دافع صادق للمستشرقين فإنه يبدو قليلا في وسط الدوافع غير الاخلاقية والأهداف غير نزيهة، و خلال من دراسات الباحثين لإنتاج المستشرقين وأعمالهم يتضح أن كل الدوافع و الأهداف تلتقي في مصب واحد وهو خدمة الاستعمار ، وهو ما نوه إليه الكثير من الباحثين والمفكرين الذين أكدو أن الهدف الأساسي والمباشر للاستشراق هو هدف ديني في أساسه، استعماري في مضمونه، علمي في ظاهره. : "ومن المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم حظا في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدرس والتحريف فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق والمنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة إلى المستشرقين".

آثار الاستشراق:

بدأ الاستشراق في مراحله الأولى بدراسة اللغة العربية و الدين الإسلامي، وانتهى بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده ولغاته، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم، الشئ الذي خلف جملة من النتائج و الآثار، يمكن ابرازها في مايلي:

آثار ثقافية وفكرية: استطاعت الآراء والنظريات التي طرحها المستشرقون أن تمارس تأثيرها في العالم العربي والإسلامي، حيث وجدت لها أنصارا ومتابعين من الباحثين، مما يدل على أن العديد من البحوث والدراسات لا تزال خاضعة للرؤية الاستشراقية في الطرح، وقد استطاع الاستشراق تحقيق نجاحات أهداف بما توفر له من سيطرة على المنابر الفكر والثقافة وكان للاستشراق دوره في مجال الأدب شعراً ونثراً وقصة، حين استغلت هذه الوسائل في نشر الفكر الغربي العلماني وبخاصة عن طريق ما سمي "الحداثة" التي تدعو إلى تحطيم السائد والموروث، وتفجير اللغة وتجاوز المقدس ونقد النصوص المقدسة، وقد استولى هؤلاء على العديد من المنابر العامة ولم يتيحوا لأحد سواهم أن يقدم وجهة نظر تخالفهم وإلاّ نعتوه بالتخلف والرجعية والتقليدية وغير ذلك من النعوت الجاهزة.

كما انتشرت في البلاد العربية الإسلامية المذاهب الفكرية الغربية في جميع مجالات الحياة:"في السياسة والاقتصاد، وفي الأدب وفي الاجتماع، ففي السياسة ظهر من ينادي بالديمقراطية ويحارب الإسلام، وفي الاقتصاد ظهر من تبنى الفكر الشيوعي والاشتراكي، وفي الأدب ظهر من نادى بالنظريات الغربية في دراسة اللغة وفي الأدب وفي النقد الأدبي، وأخذ كثيرون بالنظريات الغربية في علم الاجتماع وفي التاريخ وفي علم النفس وفي علم الإنسان وغير ذلك من العلوم".

آثار اجتماعية: تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي ما زال الاستشراق حريصاً على تحقيقها في العالم الإسلامي، وقد تعاون الاستشراق والاحتلال على إحداث النزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية.

كما اهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة التي ظهرت في كتابات قاسم أمين والطاهر الحداد ونوال السعداوي وهدى الشعراوي وغيرهم، وسعى «إلى تقويض وضع المرأة المسلمة داخل الأسرة على التمرد على النظام والخروج باسم الحرية وتصوير وضع المرأة المسلمة تصويراً مزيفاً لا يعكس الحقيقة"[26].

آثار دينية: من أبرز الآثار العقدية للاستشراق في العالم الإسلامي ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة أو ما يطلق عليه العلمانية.

4/ مدرسة الاستشراق الفرنسي (الخصائص والفاعلية)

لا شك أن المدارس الاستشراقية على اختلاف منابعه الأروبية، تلتقي في مصب واحد من حيث والغايات الأهداف العامة. غير أن كل مدرسة من هاته المدارس تميزت عن غيرها ببعض الخصائص ومكان الريادة. فقد "بدأ اهتمام فرنسا بطلب الثقافة العربية مبكرا في مدارس الأندلس وصقلية وبخاصة في القرن الثاني عشر، وساهم العرب والمسلمون في إنشاء المدارس المختلفة في فرنسا مثل مدرسة الطب في مونبلييه والتي أنشأتها الجالية الإسلامية المغربية 1220 م".[27] وقد قدم المستشراقون الفرنسيون خدمات جليلة للدراسات الشرقية في فرنسا، فاستأثرت دراساتهم بمجالات متعددة ومتخصصة، ليرتبط الاستشراق الفرنسي مع نهاية القرن التاسع عشر بوضع المخططات الاستعمارية، والتمهيد للاحتلال.

ولعل حركة الاستشراق الفرنسي وتطور أهدافه وغايته، صنعت خصوصية تميزت بها المدرسة الفرنسية حيث "تمتاز المدرسة بالشمول والتعدد فهي لم تترك ميدانا من ميادين المعارف الشرقية إلا وتناولته بحثا أو نقدا أو تمحيصا سواء من جانب اللغات وآدابها أو التاريخ أو مقارنة الأديان أو الآثار والفنون أو القانون".[28] ومنها اتسمت المدرسة الاستشراقية الفرنسية بتنوع دراساتها ومجالاتها.

وبدوافع وأهداف استعمارية لم تدع المدرسة الاستشراقية الفرنسية أي مجال من المجالات إلا وبحثت فيه وذلك من خلال تجنيد البعثات العلمية للتمهيد للاحتلال وفرض الحماية. ولعل هذا ما يفسر اتساع رقعة الدول التي استعمرتها فرنسا، حيث لعب الاستشراق الفرنسي "دورا في بناء نظرية الإيديولوجية الاستعمارية ومهد لها سبل استعمار الشرق عسكريا وسياسيا وفكريا".[29]

وقد ساهمت المدرسة الاستشراقية الفرنسية في عملية التحكم والسيطرة على الدول المستعمرة والاستفادة من مواردها المادية والمعنوية من خلال دراسة " فقه اللغة العربية ونحوها ولهجتها العامية كما عملت على الدعوة إلى تمجيد العامية ومحاولة إحلالها بديلا للفصحى".[30]

ولم تتوقف دائرة اهتمام المدرسة الاستشراقية الفرنسية عند حدود الانتاج الفكري والعلمي واللغوي العربي فقط، بل شملت مجالات اهتمامها وبحوثها دراسة العديد من الأمم الشرقية، ولم تقتصر على" دراسة تراث العرب فحسب ولكنها تناولت تراث الفرس والأتراك أيضا".[31] نظرا لسياستها الاستعمارية العسكرية. وعليه يمكننا أن نلاحظ شمولية المدرسة الاستشراقية الفرنسية في البحث ودراسة جميع مجالات المعرفة الشرقية، اضافة إلى اهتمامها بجميع دول الشرق دون استثناء.

استنتاجات :

من خلال ماسبق يمكن أن نستخلص ما يلي:

- إن تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا يعني الاتجاه نحو الشرق، كما يعني الاهتمام بعلوم الشرق وعقائده، وعاداته وتقاليده. وليس المقصود بالشرق هنا هو المشرق العربي والإسلامي فقط، وإنّما حتى الشرق الآسيوي كان مكان لدراسات المستشرقين.
- تختلف المدارس الاستشراقية من حيث الخصائص تبعا للدوافع والأهداف التي سطرتها الدول المهتمة بالاستشراق، ومن حيث الغرض الذي تريد تحقيقه من الاستشراق، ولهذا اختلفت الخصائص من دولة إلى أخرى.
- تلتقي مدرسة الاستشراق الفرنسي التي مع المدارس الاستشراقية الأخرى في خصائص مثل: التمهيد لاستعمار الشرق عسكريا، وسياسيا وفكريا؛ كما أنها من الجانب الديني عملت على: ترجمة القرآن الكريم، والبعثات التبشيرية؛ وتعددت دراساتها ما بين آداب ولغات وفلسفة وعلوم وتاريخ.
- انفردت مدرسة الاستشراق الفرنسي في خصائص أخرى، حيث تميزت بشموليتها فقد تناولت جميع ميادين المعرفة الخاصة بالشرق، كما نجدها اهتمت بكامل دول المشرق ولم تقتصر على قطر بعينه، بالإضافة إلى أهميتها باللهجات العامية وتمجيدها نظرا لسياستها الاستعمارية العسكرية.
- تمتاز المدرسة الاستشراقية الفرنسية بالتعدد والشّمولية وخوضها في جميع المجالات العلمية.
- إن جهود المستشرقين الفرنسيين أثرت في الدراسات اللغوية العربية، لما تتميز به من كونها نظرة مختلفة أثرت الدراسات اللغوية.

- قدم المستشرقين مدونات متخصصة بما جمعوه من أفواه الأهالي أو من المخطوطات والرسائل ليبقى تراثا لسانيا قيما، كشفت عن ملابسات المجتمع وقيمه وفكره وعن التنوعات والخصائص اللسانية من خلال اللغة في وضعية الاستعمال.
- لقد أدى المستشرقون الغربيون دورا تأرجح ما بين الإيجاب والسلب، حيث تجلى الجانب الإيجابي منه فيما قاموا به من جهود في المحافظة على هذا التراث من الضياع والتلف، ثم القيام بتحقيقه ودراسته وترجمته ونشره، وبهذا يكونون قد قدموا خدمة جليلة للباحثين

الهوامش:

[1] أحمد عبد الحميد غراب: رؤية إسلامية للاستشراق المنتدى الإسلام، لندن ،1990، ص08.

[2] المعجم الوسيط: ج1،مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة ص.482

[3] ابن منظور: لسان العرب، الجزء 10صفحة، 174.

السيد محمد الشاهد: الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، ع 22،السنة السادسة، 1994م، ص 191-211.[4]

[5] – إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة السابعة، 2005، ص 120-

[6] – رضوان السيد: مجلة الفكر العربي، العدد: 31، ص9.

[7] – ينظر: الطيب بن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004

[8] – محمد عوني عبدالرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي، المجلس الأعلى للثقافة 2004، ص3.

[9]أنور محمود زناتي زيارة جديدة للاستشراق، ص 133- 134.

[10]روبير منتران، سلسلة الثقافة المقارنة الاستشراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، د.ط، ص 32.

المرجع نفسه، نقلا عن إسماعيل علي محمد الاستشراق بين الحقيقة والتضليل،ص16، وأحمد دوريش الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص21.(11

12) ينظر الاستشراق الفرنسي والإرث الثقافي الكولينيالي، مارية جوهر، ص107.

13) محمد فاروق النّبهان: الاستشراق- تعريفه، مدارسه، آثاره، ص23.

[14]قاسم السمراني، الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشراقية، جامعة الإمام محمد بن مسعود، 1408 هـ، ص 15.

[15]عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 3، 1993، 3 م، ص 528.

[16]أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 380.

[17]إدوارد سعيد الاستشراق، ص 146.

[18]عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي، د ط، دت، ص 199.

[19]نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1980 م، ج1، 264.

[20] – ينظر، محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة، ط1 (1426هـ-1998م) ص33و34.

[21] مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ص 30-

[22]المصدر نفسه، ن.ص. –

[23]محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 2019، ص4 3.–

[24] الاستشراق والمستشرقون(مالهم وما عليهم): مصطفى السباعي، ص:31.–

[25] الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية: محمد جلاء إدريس، ص:31–

[26] محمد خليفة حسن. آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية. (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997) ص 64.

[27]أحمد سمايلو فيتش، فلسفة الاستشراق، ص 69.

[28] أنور محمود زناتي، زيارة جديدة للاستشراق، ص 9.

[29]أنور محمود زناتي، زيارة جديدة للاستشراق، ص 133.

[30]المر جع نفسه، ص 9.

[31]المرجع نفسه، والصفحة نفسه

منشورات مخبر الشّعرية الجزائريّة

ISBN 978-9931-752-35-6

جامعة محمد بوضياف - المسيلة